

إسلامنا رحمة رغم أنف المجرمين

د. محمد توفيق رمضان البوطي

أما بعد فيا أيها المسلمون يقول الله جلَّ شانَه في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ روى البخاري عن عبد بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" وقال صلى الله عليه وسلم: "من روع مؤمناً لم يؤمن الله روعته يوم القيامة" وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً" وروى البخاري عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة".

أيها المسلمون: لو عدنا إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المواقع التي خاضها ضد المشركين وضد الكفرة، وهو رسول الله، وهم كفرة، ماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي من يرسلهم لمقاتلة أولئك الكفرة؟ كان يقول: "بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان" خلال الأيام القليلة الماضية حدثت أمور جسيمة وخطيرة، إحراق ذلك الرجل الأردني بصورة وحشية لا يتخيلها الإنسان في الوحشية والهمجية، بل إن الوحوش لتتعوذ بالله من فظاعة ما جرى، وجرى أمرٌ آخر كلنا عشناه، أن تقصف دمشق بسكانها وأهلها ومساجدها ومدارسها وسائر أطرافها، المشكل في الموضوع.. هذا أمر يجري عندما تكون سياسة الحرب والقتال ولا سيما في عصر لا ضوابط أخلاقية فيه،

هذا أمر معهود، ففي الحربين العالميتين قتل عشرات الملايين وبدون أن يكون الهدف محددًا، وإن كان في غالب الأحيان تستهدف المواقع العسكرية بشكل رئيسي، لكن الذي جرى في هذه الأيام يجب أن نعود فيه إلى خلفياته، وندرسه دراسة متأنية تحلل طبيعة الحدث، أنا لن أربط بين ما أصاب اليهود في شبعا من هزيمة وقتل لأولئك الجرمين من مقاتلتهم، لن أربط بين هذه وذاك فالرابط موجود وهو في ذهن كل إنسان عاقل، تأرت إسرائيل لقتلاها بعد أن وكلت من يتولى عنها الرد، لن أتحدث عن هذا الجانب، فهذا الجانب لا يحتاج إلى تحليل، ولكن الأخطر من ذلك أننا نجد ربط العمل الوحشي الهمجي الشرس بكلمة الإسلام، إنه مخطط صهيوني أمريكي يراد منه أن يُحارب الإسلام باسم الإسلام، وأن يشوه الإسلام تحت راية تدعي الانتساب إلى الإسلام، فذاك يسمى جيش الإسلام، وأولئك يسمون أنفسهم دولة الإسلام، وكلاهما مرتبط ببرنامج خارجي يقصد منه أمران اثنان، تدمير هذا الوطن، وتشويه الإسلام بالذات، يقصد منه استهداف الإسلام بالذات.

تري ماذا في مسجد بني أمية من هدف عسكري ليستهدف بقذائفهم! وماذا في كليات جامعة دمشق والمدارس وغيرها من هدف عسكري ليقصد بهذا العمل الهمجي! وأين تجد في أخلاقيات القتال في أي شكل من الأشكال مع ألد الأعداء المشهد الذي أروه عن أنفسهم للعالم كله تحت اسم دولة الإسلام! إنها حرب تستهدف الإسلام، أما أنها تستهدف سوريا فهذا أمر لم يعد خفياً، وعندما نقول تستهدف سوريا؛ أجل هي تستهدف سورية أولاً شعباً، يوم أوجدت شرخاً في وسط هذا الشعب فصار بعضه يكره بعضاً وبعضه يقتل بعضاً، إسرائيل وفرت دماء أبنائها، نحن متكفلون بأن يقتل بعضنا بعضاً وبأن نوفر لإسرائيل دماء أبنائها، نحن نكفيهم المؤنة، فنحن نستطيع أن نرمي بعضنا بعضاً وأن يقتل بعضنا بعضاً. إنها خطة شيطانية خبيثة، جعلت البيت الواحد يكره أبنائه بعضهم بعضاً، هل هذا عهدنا بدمشق أو هذا عهدنا بسوريا بأبنائها بعوائلها بأحيائها بسكانها؟ عهدنا بهذه البلدة التي نحن نعيش فيها أن فرح بيت يعم البيوت كلها، وأن حزن بيت يعم البيوت كلها، وأن إنسان معوز في أي بيت من البيوت ينسى عوزه لأن أهل المنطقة كلهم يد تمتد إليه بالعون والعطف والمحبة دون أن تشعره بأي مهانة. عهدنا بهذه البلدة أنه عندما تعرضت لبنان للعدوان فتح أهلها بيوتهم وشاطروا اللبنانيين أموالهم ونفقات هذه البيوت من سطوة العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان، وكلكم يذكر ذلك لمن كان يتذكر، ضيق سكان دمشق وما حولها، ضيقوا على أنفسهم بيوتهم وأتاحوا المجال ليسكن أولئك مكرمين في بيوتنا.

نعم هذا الذي جرى، ما عهدنا أن يكره الأخ أخاه هذا موالٍ وهذا معارض، تعالج الأمور السياسية عن طرق معروفة، وليس عن طريق إثارة الفتنة في البلاد وقتل الناس بعضهم بعضاً. منتزهات دمشق الآن أصبحت خراباً يباباً، موارد الرزق أصبحت معسكرات لوحوش بشرية استوردت من هنا وهناك، وتحت راية ماذا؟ تحت راية الإسلام، أي إسلام هذا الذي يستعطف كيري .. ويخطط له بين برنارد هنري ليفي؟؟ أي إسلام هذا الذي سينهض تحت حماية الغرب المعادي للإسلام والمسيء لرسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ؟؟ أي إسلام هذا الذي يستنجد لقصف دمشق بأمركا؟ كبير دجاجلتهم استعطف أميركا لتقصف دمشق، وكلكم يذكر ذلك، أي إسلام هذا أن يحرق الإنسان وتحت راية اسم الإسلام؟ هذا ليس الإسلام، هذا إسلام أمريكي هذا إسلام صهيوني، وليس الإسلام الذي أنزله الله عز وجل ، أي إسلام هذا الذي يستمطر دمشق بالقذائف ليقتل الأطفال في الشوارع في ساعة انطلاقهم إلى مدارسهم **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا - مؤمن واحد وليس بلدة كاملة، ليس مدينة برمتها- وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾** أرني في كتاب الله عز وجل وعيداً أشد من هذا الوعيد، أي إسلام هذا الذي يدفع بهم إلى قتل العالم وهو على منصة درسه ومعه المئات ليستشهد منهم أكثر من خمسين رجلاً؟ أي إسلام هذا الذي يدعونه والذي ترعاه دول البغي والعدوان؟ أي إسلام هذا الذي يجعل الأحياء بعض سكانها ضد بعض، ويجعل القرى بعض سكانها ضد بعض؟ أي إسلام هذا أن تجوع الغوطة كلها تحت وطأة الاستغلال والجشع والظلم والبغي والعدوان؟ أهذا هو الإسلام؟ (ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبع دينه بعرض من الدنيا قليل) ولكن هذا العرض لن يبقى، وسيتسولون حيث التجؤوا وسيتسولون أذلاء صاغرين حيث باعوا وطنهم وباعوا دينهم وباعوا شعبهم. أما أن لنا أن نستيقظ ونعرف العدو من الصديق؟ أما أن لنا أن نعود إلى ربنا؟ أما أن لنا أن نسمع قوله تعالى **﴿رَبَّنَا إِنَّ اللَّهَ لَأَ يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** علينا أن نتحسس مواطن أقدامنا، وأن نراجع أحكامنا، وأن يعانق المتخاصمون بعضهم ليكونوا يداً واحدة في مواجهة الخطر الذي يواجه وطننا وديننا، ليلقوا السلاح، ليكون السلاح في جهة واحدة فقط، في جهة إسرائيل في جهة العدو الخارجي وليس في جهة الأخ والصديق والقريب، لنعد إلى رشدنا لنعد إلى ما أمر الله به عباده المؤمنين **﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾** تقول لهم تعالوا لتفاوض وتحدث.. لا ، لماذا لا؟ ومن هو الذي يقول لا عميل أجير هو لا ينطق باسمه هو

عبارة عن أداة تنطق باسم غيره، لا يفر من الحوار إلا الجبان الذي يخشى أن تكشف أوراقه وأن تكشف عمالته وأن تكشف خيائنه لشعبه ولأمته ولدينه، أما إننا نرفض أن يقتل بعضنا بعضاً، نرفض أن يوصم الإسلام بهذه الجرائم القذرة تشويهاً لهذا الإسلام، وسائل الإعلام الأجنبية كلها تركز على ربط هذا الأمر تحت شعار الإسلام، ولكن نقول: إسلامنا الله أنزله ولن يؤثر فيه ولا في سطوع شمسهِ تلك الأدخنة القذرة التي تثيرها حرائقهم.

أسأل الله أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً وأن يعيد لهذه الأمة أمنها وأمانها، وأن يعيد إليها حبها وألفتها، وأن يعيد إليها وعيها ومعرفتها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ولكم فيا فوز المستغفرين

خطبة الجمعة 2015-02-06

